

رسالة الأنبياء (ع)

المناسبة: اجتماع زعماء وممثلي الأديان والمذاهب العالمية

الزمان والمكان: 29 جمادى الأولى 1421هـ ق مقر الأمم المتحدة بنيويورك

الحضور: زعماء وممثلو الأديان والمذاهب في العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على جميع أنبياء الله ورسله سيّما على خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين، والسلام على بقية الله في الأرضين.

إنّ انعقاد اجتماع ممثلي الأديان العالمية خطوة بنّاءة وبادرة مباركة، سائلين الله المتعال التوفيق لكم بقرن الأعمال بالأقوال، ومواصلة مثل هذه الجهود لإفادة الإنسانية بمعارف الدين الإلهي.

إنّ قادة الأديان والمذاهب يعتبرون أنفسهم اليوم ممثّلين عن الأنبياء وسائرهم على نهجهم ومكملين لطريقهم.

فماذا كان هدف الأديان؟ وما هي رسالة الأنبياء الإلهية إلى البشرية؟

الجواب عن هذا السؤال يجب أن يوضّحه منهج وأسلوب كل الذين يرفعون لواء الدين في هذا اليوم.

غاية الأديان سعادة الإنسان وفلاحه

بلا شك أنّ كافة الأديان تتشدد فلاح الإنسان وإنفاذه، ولكل دين منهجه وأسلوبه في مخاطبته الأمم والتعامل معها بما يتناسب وظروفها المكانية والزمانية.

وقد خاض الأنبياء والرسل على طريق نشر الرسالة الإلهية جهاداً شاقاً وطويلاً، وقدّموا نماذج ممتازة للتضحية في سبيل العقيدة والدين بقيت خالدة في الأذهان.

كان هذا الجهاد والسعي المخلص لأجل سعادة الإنسان وفي سبيل الله، وبشكل عام في قبال الرغبات والمصالح الفاسدة، أو مقابل تجهيل أصحاب هذه المصالح للآخرين؛ وقد حفل تاريخ العالم والكتب المقدسة للأديان بذكر هذه المجاهدات وتعظيم هؤلاء المجاهدين.

إنّ الدين الإلهي لا يطلب السعادة لعدد خاص من الناس في زمان مُعيّن وفي منطقة مُعيّنة، ولا يكره الناس على قبوله، ولا يختص ببعض جوانب الحياة، وإنما كان الناس جميعاً على اختلاف أماكنهم وأزمانهم مخاطبين من قِبَل الأنبياء، الذين كانوا يعملون عن طريق غرس الإيمان فيهم، وتنمية عقولهم، وشحذ همهم لهدايتهم إلى الصراط المستقيم؛ ليتوجّهوا نحو الفلاح والصلاح.

إنّ تجارب القرون الأخيرة — لاسيّما القرن العشرين — أثبتت أنّ التطوّر العلمي بمفرده لا يمكن أن يحقق السعادة والسلام للإنسانية، فإن العلم لا يخدم البشرية، ما لم يكن مشفوعاً بالهدف والإيمان، وهذه الضالة لا يمكن العثور عليها إلا في الأديان.

من غير اللائق حصر ما جاء به الرسل في إطار الممارسات الفردية للإنسان وعلاقته الروحية مع الخالق تعالى، وتضييق دائرة هذه الرسالة العظيمة إلى الحد الذي لا تشمل علاقة الإنسان مع الإنسان، وعلاقة الفرد مع المجتمع ومع البيئة، وبناء نظام اجتماعي وسياسي.

إننا نعتقد بأن جميع الأنبياء (عليهم السلام) ساروا على هذا النهج الواضح، ونحن نوّمن بهم كافة >لا نفرّق بين أحدٍ من رسله¹.

إنّ الأديان الإلهية تعتبر الدنيا دار تربية وامتحان للإنسان، وترى أنّ طريق التكامل المعنوي للبشرية يكمن في بناء عالم سالم ونزيه، بعيد عن إفرازات طغيان وأنانيات وضيق أفق السلطويين وضعف وانفعال وجهل قصيري النظر، وقد جاهدت من أجل إيجاد مثل هذا العالم.

فإهمال وتجاهل الطبيعة والقوى والقوانين التي تمّ إيداعها لسمو الإنسان أمر مرفوض، شأنه شأن التصرف فيها بالظلم والفساد.

¹ سورة البقرة، الآية: 284.

إنّ سلامة البيئة التربوية للإنسان تعني: أن يتعاطى الإنسان مع ربّه وذاته، وابن جلدته والطبيعة من حوله بسلام ووئام.

إنّ السلام بهذا المعنى العام يعدّ من أكبر احتياجات البشرية، وصولاً إلى التكامل والفلاح.

إنّ هذا السلام ينبغي أن يكون وليد الإيمان والفكر، وقد حرص الأنبياء على إخراج هذه الحقيقة إلى أرض الواقع.

وإنّ أجواء الصمت والسكون الناجمة عن لغة القوة والرعب والخداع لحكام المال والقوة في بعض بقاع العالم تناقض تماماً السلام الذي ينادي به مبشّرو الفلاح للإنسان.

إنّ السلام ينبغي أن يقوم على أساس العدل واحترام كرامة الإنسان، ويكون بعيداً عن أطماع السلطويين في العالم، وإنّ فرض الصمت والخنوع على شعب نهض للدفاع عن حقوقه المهضومة لا ينسجم مع السلام الذي نادى به حملة رسالة السلام السماوية.

لقد حاولت القوى الطامعة، التي لا تفكّر إلا في إشباع رغباتها، على مدى التاريخ استغلال الدين ورجال الدين؛ لتحقيق أهدافها السلطوية، إلا أنّ الأديان الإلهية كانت ترفض مثل هذه الخدعة الكبرى؛ وإنّ الكثير من الحروب التي أجّبت بإسم الدين كانت منطوية على مثل هذه النوايا السيئة.

لا يمكن أن يكون الدين في خدمة السياسات السلطوية، بل يعتبر شؤون السياسة وإدارة المجتمعات البشرية جزءاً من صلاحياته ووظائفه، وهو يحارب هذه السياسات اعتماداً على حب وإيمان الناس بنظامه السياسي.

وإنّ الكثير من السياسيين والسلطويين يحذّرون من تدخّل الدين بالشؤون السياسية، ويضعون خطوطاً حمراء بين الدين والسياسة يصعب اجتيازها، وإن كانوا لا يلتزمون هم بهذه الحدود أبداً، بل يتدخلون في الدين ويستغلّونه لأغراضهم.

إنّ عالمنا المعاصر بات يعاني اليوم من الفساد الأخلاقي، والأديان هي القادرة على الوقوف بوجه هذه الحالة بقوة ووضع الحلول لها، شريطة أن يسمح لها أن تسجّل حضورها الفاعل في مختلف مرافق الحياة، وأن تتدخل في تطهير وتعديل الدوافع الاقتصادية التي تكرّس الفساد الأخلاقي.

إنّ العالم يشهد اليوم تجربة ناجحة في إيران الإسلام لإقامة نظام سياسي على أسس التعاليم الدينية، إلّا أنّ أكبر تحدٍّ تواجهه الجمهورية الإسلامية اليوم هو إفشال مخططات كبار سلطويي العالم، الذين لا يرغبون في أن يروا عقبة أمام أطماعهم في هذه البقعة من العالم أيضاً.

أيّها الأصدقاء والضيوف الأعزاء، إذا قَبِلَ قادة الأديان الإلهية بأنهم يقومون مقام الأنبياء، فطريق مبلّغي الفلاح وسعادة الإنسان واضح أمامهم، وهو طريق ذو عقبات كثيرة وتتطلب جهوداً حثيثة. إلّا أنه طريق يحقق البهجة والرضا لسالكه، وبالتالي رضا الباري عز وجل. «ولينصرنّ الله من ينصره ورسله»².

والحمد لله ربّ العالمين.

السيد علي الخامنئي

² سورة الحج: الآية 40.